كشف اللثام عن لبس الجن للإنسان

د. نافـذ الشاعـر

جميع حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: كشف اللثام عن لبس الجن للإنسان

اسم المؤلف: د. نافذ الشاعر

الطبعة الأولى: ١٩٩٧

جميع الحقوق محفوظة

كشف اللثام

عن

لبس الجن بالإنسان

د. نافـذ الشاعـر

مـقدمـــــــــة

لا يدافع عن الحق بالجدل؛ فالحق لا يـدافع عنـه، بـل يعـرض في ضوء العقل والنقل حتى تتضح معالمه. والجدل في النهاية لا يـؤدي إلى انتصار أحد أو انهزامه؛ وإنما غاية الجدل، إظهار قدرة المجادل وقصور الخصم، وذلك إما طلباً لمدح أو ثناء، أو ابتغاء لمركز أو عطاء!..

هذا القول نقوله الآن لأن أموراً كثيرة قد استقرت في وعي الناس منذ زمن طويل، حتى أخذت، جراء هذا الإلف والاسـتقرار، قداسـة تحرم مناقشتها أو حتى ترديدها. وقد شاع، لدى كثـير مـن النـاس، أن محاولة ترديدها وتقليبها على وجوهها المختلفة يُعد ضرباً مـن الزندقـة والهرطقة، أو هو نبذ للشرع وإحلال للعقل!

لذا، فإن الحل الأمثل للخروج من هذا المأزق الذي يمر بـه الفكـر الإسلامي الحديث هو قتل هذه الأمر بحثـاً، حتـى يُعـاد وضـع هـذه القضايا في مكانها الصحيح: أفكاراً بشرية لا عقائد إلهية!

وهذا ما فعلناه في هذه الدراسة الموجزة.

لقد تناولت هذه الدراسة، على إيجازها، موضوعاً شديد الأهمية: موضوع لبس الجن للإنسان وصرعه. ولقد طال في هذا الموضوع الشائك الجدال والنزال حتى أصبح عند الكثير عقيدة يكفر منكرها أو يفسق مناقشها!.. لا لشيء إلا لأن شيخ الإسلام ابن تيمية قد ذكرها في بعض كتبه وأكد على وجودها.

وبعد، فهل لهذا الموضوع سند من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين؟

هذا ما نحاول الإجابة عليه في هذا البحث إن شاء الله "ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير"

مارس ١٩٩٧

الباب الأول

الجذور التاريخية لهذه المشكلة

مشكلة لبس الجن للإنسان مشكلة قديمة قدم التاريخ ترجع أصولها التاريخية إلى الديانة النصرانية، بل إلى ما قبل النصرانية. ولقد ذكرت الأناجيل عدداً كبيراً من هذه القصص، التي تنسبها إلى المسيح عليه السلام. ووجود هذه القصص في الأناجيل المحرفة ساعد على دخولها إلى الفكر الإسلامي مع ما دخل من الإسرائيليات!..

جاء في العهد الجديد من الكتاب المقدس:

{وكان عيسى يُخرج شيطاناً.. وكان ذلك أخرس! فلما أمر الشيطان بالخروج، تكلم الأخرس، فتعجب الجموع}[1]

وجاء أيضاً: {وكان في مجمعهم رجل به روح نجس فصرخ قائلاً: آه.. ما لنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتهلكنا.. أنا أعرفك... من

[1] الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ١٤/١١
٢الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٢٣/١

أنت؟ قدوس الله .. فانتهره يسوع قائلاً: اخرس واخرج منه، فصرعه الروح النجس، وصاح بصوت عظيم.. وخرج منه}[٢]

إذن، هذه الروايات وكثير غيرها[٣] تقودنا إلى أن تلك الظاهرة كانت منتشرة لدى النصارى، فحُرِّفت مع ما حرفه النصارى من كتبهم، وأصبحوا ينسبونها، كذباً وبهتاناً، إلى المسيح عليه السلام.

أما نحن المسلمين، فليس لدينا دليلاً من الكتاب أو السنة يُثبِت أن المسيح عليه السلام كان يخرج الشياطين من أجسام الناس، وإنما الذي جاء في القرآن الكريم من معجزاته عليه السلام، قوله تعالى:

{ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَأُحْيِي الْمَوْتَى، بِإِذْنِ اللهِ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ..} [آل عمران : ٤٩]

تلكم هي جذور المشكلة!

---

[٣] جاء في الكتاب المقدس قصص أخرى كثيرة انظر: انجيل مرقس٣:٢٢، ٥:٢، إنجيل متى١٢:٤٣، ٨:٢٩، أعمال الرسل ٦:٣، ٨:٩، ١٦:١٦-١٨

وهنا، لابد من سؤال عن كيفية دخول تلك العقائد الفاسدة إلى الديانة الإسلامية؟ أو كيف أصبحت، كما نرى اليوم، لا ينكرها إلا نفر قليل من العلماء، في حين نرى كثيراً من العلماء قد انطلت عليهم هذه الأباطيل وأصبحوا يروجونها مع المروجين؟

ومن المؤسف حقاً أن يكون شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، هو أول من جهر بهذا الرأي، بهذه الجرأة العجيبة، كعادته، في الصدع بما يعتقد أنه الحق، وقد فصل الأمر في ذلك تفصيلا، ثم تبعه في رأيه هذا نخبة من علماء الإسلام الأجلاء كابن القيم وغيره!..

تحليل رأي شيخ الإسلام ابن تيمية

من المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد عاش في النصف الثاني من القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن الثامن (٦٦١-٧٢٨)هـ.. وكان حينئذ قد مضى على استقرار العقيدة الإسلامية ما يقارب سبعة قرون.. والعجيب أيضاً، أن أحداً من علماء الأمة، خلال تلك المدة السابقة، لم يتطرق إلى هذه المسألة بهذه الجرأة. بل إن هذه المسألة لم يكن مجمعاً عليها بين علماء الأمة الراسخين في العلم، كما سنرى لاحقاً في هذه الدراسة.

ولابد أن اعترف أنه كان بودي أن أقول أن تلك الأقوال دست على شيخ الإسلام ابن تيمية، وأنه منها برآء!.. لكن تلك الآراء والأقوال هي من الشهرة بمكان، بحيث لا تترك ثم مجالاً للتبرير أو التزوير، وقد استفاضت تلك الحكايات في كتب تلميذه العلامة ابن القيم، ونقل في ذلك حكايات كثيرة عن شيخه ابن تيمية. والمشكلة في نظري، ليست هنا، إنما تكمن المشكلة في اعتماد كل الدجالين ومعالجي الناس بالقرآن على أقوال شيخ الإسلام وتلميذه، واتخاذها حجة

لإسكات المعارضين وكأنها تنزيل من التنزيل! ومن أمثلة هذه الأقوال التي استفاضت عن شيخ الإسلام قوله:

{ليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن ينكر ذلك، فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك} [٤]

وقوله: {.. **وربما تكلم بألسنة مختلفة كما يتكلم الجني على لسان المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس، ولبسه وتكلم على لسانه، فإذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال، وبهذا يُضرب المصروع ضرباً كثيراً حتى يقتل مثله من الإنس، ويخبر إذا أفاق أنه ما شعر به، لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه**} [٥]

وقوله: {**وقد يتناكح الإنس والجن، ويولد لهما الأولاد، وهذا كثير معروف(!) وكره أكثر العلماء مناكحة الجن، لقوله تعالى:**

---

[٤] مجموع الفتاوي: جـ١٩/١٢، جـ٢٤/١٧٦

[٥] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١١٣

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام : ١٢٨]

ومن العجيب استشهاد ابن تيمية بهذه الآية على نكاح الإنس للجن وأنهم يولد لهم أولاد!.. والعجيب أيضاً أن ينقل ابن تيمية أقوال المفسرين لهذه الآية، ولا يوجد فيها قول واحد، يدل على هذا النكاح من قريب أو بعيد.

يقول ابن تيمية: **{وقال غير واحد من السلف: أي كثير من أغويتم من الإنس وأضللتموهم. وقال البغوي: استمتاع الإنس بالجن ما كانوا يلقونه لهم من الأراجيف والسحر والكهانة، وتزينهم الأمور التي يهيئونها، وتسهيل سبيلها عليهم. واستمتاع الجن بالإنس فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي.. وقال محمد بن كعب: هو طاعة بعضهم لبعض، وموافقة بعضهم بعضاً.. وذكر ابن أبي حاتم عن الحسن البصري، قال : ما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا بأن**

الجن أمرت والإنس عملت.. وعن محمد بن كعب قال: هو أصحابه في الدنيا.. وقال ابن أبي السائب: استمتاع الإنس بالجن استعاذتهم بهم، واستمتاع الجن بالإنس أن قالوا: قد أسرنا الإنس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون سرفاً في أنفسهم، وعظماً في نفوسهم وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً}[٦]

وينقل ابن كثير نفس هذه الأقوال السابقة[٧] عند تفسيره لتلك الآية، ولم ينقل قولاً واحداً يدل على زواج الإنس من الجن أو العكس.

يقول محمود شلتوت رحمه الله:

{وقد صدَّق كثير من الناس ما شاع من ذلك عن الجن وتناقلوا فيه الحكايات، التي ربما رفعوها للسلف الصالح، واستمروا على ذلك، حتى جاراهم بعض الفقهاء وفرض بعضهم صحة ذلك، وجعلوها مادة للتدريب العقلي على استنباط الأحكام الفقهية؛ فتحدث بعضهم

---

[٦] مجموع الفتاوي جـ١٩/٣٩

[٧] تفسير ابن كثير ٢/١٧٧

عن صحة التزوج بهم، وعن وجوب الغسل على الإنسية إذا خالطها الجني، وعن انعقاد الجماعة بهم في الصلاة، وعن مرورهم بين يدي المصلي، وعن حكم الأكل من ذبائحهم.. أما نحن فلنترك الفقهاء يفترضون، ومردنا في ذلك إلى القرآن الكريم}[٨]

أما ابن القيم، رحمه الله، والتي تعد كتبه شرحاً لكتب شيخه ابن تيمية فيقول: **{الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة. والثاني هو الذي تكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه!.. أما جهلة الأطباء، وسقطتهم، وسفلتهم، ومن يعتقد بالزندقة مذهباً.. فإنهم ينكرون صرع الأرواح، ولا يقرون بتأثيرها في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل..}**[٩]

وهنا، لابد من سؤال عن السبب الذي جعل ابن تيمية يؤكد هذا الأمر ويدافع عنه بحرارة، مع أن ابن تيمية مشهود له بأنه صاحب عقلية مماحكة، وبصيرة نافذة، وقريحة متوقدة، وذهن ثاقب، لا ينخدع

---

[٨] الفتاوي ص ٢٥

[٩] زاد المعاد في هدي خير العباد ٦٦/٤-٦٩

بالأقوال أو العادات أو الأفعال التي قد تنطلي على كثير من أصحاب العقول!

يحل لنا جزءاً كبيراً من الإشكال عبارات نقتبسها من كلام طويل لابن القيم رحمه الله، وهو يصف فيها شيخه، ويصف فيها أسلوبه في معالجة المصروعين، يقول:

{وقد شاهدت شيخنا ابن تيمية، يرسل إلى المصروع رجلاً يخاطب الروح قائلاً: يقول لك الشيخ اخرجي.. وأحياناً يخاطب الروح التي في المصروع بنفسه، ويقول اخرج منه.. وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع " أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون"}

وقبل أن نمضي في تحليل تلك الفقرة لنزيح الستار عن عقلية شيخ الإسلام ابن تيمية، لا بد أن نذكر أن ابن تيمية كان قارئاً نهماً مستوعباً لكل علوم عصره من تفسير وحديث وفقه وتصوف وفلسفة ومنطق وعقائد وملل ونحل.. كما كان صاحب حافظة قوية وذاكرة حديدية

وعت كل كتب السنة الصحاح فضلا عن غير الصحاح، حتى قال عنه إمام من أئمة علماء الرجال ومؤرخ من مؤرخي الإسلام هو الحافظ الذهبي: **"ما رأيت أشد استحضاراً للمتون، وعزوها منه، وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه، ويصدق عليه قولهم: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث"!** ويقول ابن دقيق العيد: **"رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد ويدع منها ما يريد".**

ولا بد أن نتذكر، أيضاً، أن ابن تيمية نشأ في بيت حنبلي المذهب، وكان والده يتولى مشيخة دار الحديث بجامع دمشق الأعظم.. وكذلك كان جده إماماً جليلاً من أئمة الفقه الحنبلي، وكانت له كتابات تولاها العلماء بالمتون والشروح.. وبالتالي، فقد كان هذا الصبي محباً للإمام أحمد، رضي الله عنه، ومعظماً لقدره ومعترفاً بمكانته.. ولذلك فإن كلمات الإمام أحمد كان لها النصيب الأوفى في صياغة عقل هذا الصبي ووعيه!

ومن هذه الكلمات التي استفاضت عن الإمام أحمد، رضي الله عنه، وأثرت في عقلية ابن تيمية كثيراً، مقولته: **{الأحاديث الضعيفة أحب**

إلي من قول الرجال}. وهذا ما سيتضح لنا جلياً على صفحات هذه الدراسة.. أضف إلى هذا جرأة ابن تيمية في الصدع بما يعتقد أنه الحق والصدق، غير عابئ بنقد الناقدين، أو خلاف المخالفين، فأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون كما قال الحافظ الذهبي.

ولقد كان من شدة اعتداد ابن تيمية بنفسه، وثقته المفرطة بعلمه، يرجح بحجة دامغة، ومنطق رصين أراء ضعيفة وشاذة، في حين لا يجرؤ أحد بقولها أو الجهر بها، إما لضعف الدليل، أو لكثرة المعارضين وعناد المخالفين..

خذ على سبيل المثال إفتاءه في مسائل الطلاق، رغم تحذير السلطان له، بأقوال لم يقل بها أحد قبله.. وخذ هجومه الشرس على العقيدة الأشعرية التي كانت عقيدة الدولة الإسلامية الرسمية لسبعة قرون خلت، ووصفها بأنها عقيدة جبرية ترتدي قناع الكسب والحرية.. وأيضاً توجيهه سهاماً قاتلة إلى الصوفية وشيخها ابن عربي، والذي لم يجرؤ أحد على نقده بهذه الجرأة، وهذا ما أدى إلى إيداعه السجن إلى أن وافته منيته!.. وأيضاً هجومه الشديد على المنطق الأرسطي حيث راغ

عليه ضرباً باليمين فتركه جذاذاً.. ثم هجومه العنيف على فلاسفة المسلمين، ورميهم بالزندقة والإلحاد..

ونعود إلى عبارة ابن القيم التي ذكرناها آنفاً يصف فيها شيخه ابن تيمية، يقول ابن القيم:

١- وقد شاهدت شيخنا (ابن تيمية) يرسل إلى المصروع رجلاً يخاطب الروح قائلاً: يقول لك الشيخ: اخرجي..

٢- وأحياناً يخاطب الروح التي في المصروع بنفسه ويقول: اخرج منه.

٣- وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون".

هذه العبارة الآنفة الذكر تتكون من ثلاث فقرات تكشف لنا بوضوح تام عن عقلية شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه متبع للسنة والآثار

في كل صغيرة وكبيرة على حد سواء، وأن آراءه لا تصدر عن تلقائية أو عفوية، وإنما تستمد روافدها من تراث متراكم من المأثورات عبر السنين!

لكن هل هذا الأمر محمود في الأمور كلها، ومقبول على عواهنه؟

كلا بالطبع! فهو كما فصل العلماء القول في ذلك، محمود في فضائل الأعمال، وفي الترغيب والترهيب.. أما أن نبني على هذه الأقوال الواهية والأحاديث الضعيفة مفاهيم وعقائد يُرمى من يخالفها بالزندقة والإلحاد والتكفير.. فهذا شيء شاذ لم يقل به أحد من سلف الأمة وخلفها!

يتجلى لنا هذا الأمر بوضوح تام من خلال تحليل الفقرة السابقة كما يلي:

قول ابن القيم: (يرسل إلى المصروع..) يقصد أن ابن تيمية كان يرسل إلى المصروع رجلا ينيب عنه في مخاطبة المصروع.. هذا الفعل من ابن تيمية فيه اقتداء بسلوك الإمام أحمد رضى الله عنه، عندما كان

يرسل نعليه إلى جارية، يقول: إن الإمام أحمد يأمركم بالخروج من جسد الجارية وإلا صفعتم بهذا النعل سبعين!.

هذه القصة بلا سند صحيح ينسبها صاحب كتاب طبقات الحنابلة إلى الإمام أحمد.

٢- الفقرة الثانية التي يقول فيها ابن القيم، واصفاً شيخه ابن تيمية: **(وأحياناً يخاطب الروح بنفسه قائلاً: اخرج منه)**. هذا السلوك من ابن تيمية مستنداً إلى حديث ضعيف مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بأن رجلا جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال إن ابني مجنون. فلما أحضره إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، ضربه على ظهره، وقال: "اخرج عدو الله"

فالشاهد هنا أمران، الأول: المخاطبة المباشرة. والثاني: قوله اخرج. وهذا الحديث أخرجه الإمام الطبراني، وهو مطعون في أحد

رواته وهي أم أبان بنت الوازع؛ حيث قال عنها أئمة الجرح والتعديل أنها مجهولة لم يرو عنها غير مطر الأعنق[١٠].

٣-العبارة الثالثة: (وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون).

إن هذا السلوك من شيخ الإسلام ابن تيمية فيه ترسم لخطى ابن مسعود، رضي الله عنه. لكن الغريب في الأمر أن هذا الحديث موضوع(!) لأن في إسناده رزين ابن سلام، وحديثه باطل[١١]. وقد زعموا أن ابن مسعود، رضي الله عنه، كان سائراً مع النبي صلى الله عليه وسلم، في طرقات المدينة، فإذ برجل قد صرع؛ فدنا منه ابن مسعود، وقرأ في أذنه بصوت لم يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم.. فلما سأله النبي قال قرأت "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفس محمد بيده لو أن رجلاً قرأها على جبل لزال)!

---

[١٠] ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي ج٤/٦١١؛ رقم ١١٠٠٤

[١١] -المرجع السابق ج٢/٢٦٥؛ رقم ٣٣٤١

إذن، يتضح من خلال ما قدمناه أن شيخ الإسلام ابـن تيميـة، قـد بنى رأيه في هذه المسألة على أحاديث ضعيفة، قد نالهـا العلـماء بـالجرح والطعن في رواتها.

وقد يرد هنا سؤال وجيه: هل كان ضعفُ تلـك الأحاديـث يخفـى على شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي قال عنه الحافظ الذهبي: "كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث"!

من المؤكد أن ابن تيمية لم يكن يجهل ضعف تلك الأحاديـث؛ إنـما كان يرى شواهد صدقها في أعماق النفس وبواعـث الضـمير، قبـل أن يـرى صـدقها في المتـون والأسـانيد.. وهـذا مـا جعلـه يتغـاضى عـن ضعفها!..

إن العبقريات الملهمة إذا اقتنعت بفكرة ملأت عليها أقطار الـنفس وأمسكت منها بمجامع اللب. عند ذلـك، تصـبح تلـك الفكـرة مـن الحقائق الواقعة، بـل مـن البدائـه المؤكـدة التـي لا تقبـل النقـاش ولا الجدال.. وهذا من أخص صفات العباقرة؛ فما أن تـدخل إلى نفوسـهم

فكرة من الأفكار التي كانت ميتة في نفوس الآخرين حتى تتحول تلك الأفكار إلى كائنات حية تنفخ فيها الروح وتدب فيها الحياة؛ فتنمو شيئاً فشيئاً حتى تصبح مارداً يتأبى على الترويض والإمساك.. عندئذ تسيطر الفكرة على صاحبها ولا يسيطر هو عليها، ولا يهدأ له بال أو يقر له قرار حتى تتحرر تلك الأفكار من نفسه إلى نفوس الآخرين.

وهذا ما حدث مع شيخ الإسلام ابن تيمية.. ذلك العبقري الموهوب!..

إن تلك الحكايات كانت قد تردت على مسامع ابن تيمية منذ صغره مرات ومرات، وطرقت مسامعه بمناسبة وبلا مناسبة؛ لأنها حكايات شعبية راجت من التراث النصراني. وهي عند النصارى عقيدة راسخة تؤكدها أناجيلهم المختلفة، وتتفنن في تلفيقها على المسيح عليه السلام، بأساليب شتى وطرق مختلفة، حتى أخذت جراء هذا التلفيق والتدليس، صفة التواتر والذيوع..

أقول إن حكايات لبس الجن للإنسان قد ذاعت وانتشرت حتى أصبحت "عقيدة شعبية" لم ينكرها العلماء فضلاً عن غير العلماء؛ لأن هذه العقيدة لم تكن غريبة على بيئة الإسلام وعلى عقائد الإسلام كل الغرابة، بسبب ورود كثير من الأحاديث الضعيفة التي تؤكد ذلك، وورود بعض الأحاديث الصحيحة التي توهم بهذا التأكيد، فأخذت بذلك صفة القداسة والذيوع والانتشار. أضف إلى ذلك الذيوع والانتشار بين العامة والخاصة، في البقاع الإسلامية، فقد ترددت على مسامع ابن تيمية في صغره كثير من تلك الحكايات التي لفقها الوضاعون على الإمام أحمد رضي الله عنه؛ لأن الإمام أحمد، رضي الله عنه، كان، في نظر الوضاعين، جديراً بهذا التزوير والتلفيق!..

لقد ذاع صيت الإمام أحمد في الآفاق، وأجمعت الأمة الإسلامية على صلاحه في الحياة وبعد الممات، ولقد جاء في كتاب "مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي عن أبي ثور أنه قال:" لو أن رجلاُ قال أحمد بن حنبل من أهل الجنة، ما عُنف على ذلك.. وذلك لو قصدت خراسان لقالوا إن أحمد بن حنبل رجل صالح، ولو قصدت الشام لقالوا: إن

أحمد بن حنبل رجل صالح، ولو قصدت العراق لقالوا إن أحمد بن حنبل رجل صالح"

ويبدو أنه قد عز على الملفقين أن يجمع على صلاح هذا الإمام، بنو الإنسان ولا تجمع على صلاحه مردة الجان!.. ففي بقية الحكاية، التي نسبها أبو يعلى للإمام أحمد رضي الله عنه، أنه بعد وفاة الإمام أحمد عاد الجن إلى لبس الجارية التي كان قد تلبسها في حياة الإمام أحمد وأخرجه منها؛ فأرسل المتوكل إلى أبي بكر المروزي، صاحب الإمام أحمد، فلما أمر المروزي الجن بالخروج، قال له الجني، على لسان الجارية: لا أخرج من هذه الجارية، ولا أطيعك لأن أحمد بن حنبل أطاع الله فأطعناه!

جاء في الباب الثامن والثمانين من كتاب "مناقب الإمام أحمد" في ذكر تأثير موت الإمام أحمد عند الجن أن رجلاً بطرسوس قال: أنا من اليمن وكانت لي بنت مصابة، فجئت بالعزَّامين فعزَّموا عليها، ففارقها الجني على أن لا يعاود، فعاود بعد سنة، فقلت : أليس قد فارقت على أن لا تعاود؟ قال : بلى ، ولكن مات اليوم رجل بالعراق يقال له: أحمد

بن حنبل، فذهبت الجن كلها تصلي عليه إلا المردة وأنا منهم، ولست أعود بعد يومي هذا، فما عاد"[١٢]

وأيضاً، هناك أمر، بعد كل ما قدمناه، يجب أن نضعه في الحسبان وتثار حوله العديد من الأسئلة، وهو لماذا لا تنسب تلك الحكايات إلى أحد من الأئمة الأربعة غير الأمام أحمد؟

أعتقد أن ذلك ربما يكون بسبب التنكيل الشديد الذي لحق بالإمام أحمد على يد المأمون والمعتصم، بإيعاز من المعتزلة في مسألة خلق القرآن المشهورة في الفكر الإسلامي. والمعتزلة، كما هو معروف، كانوا أول الرافضين للقول بلبس الجن للإنسان، وصرعه ودخوله في جسمه وجريانه في دمه، وكأن القائلين بهذه الآراء قالوها لإغاظة المعتزلة والسخرية من أقوالهم وآرائهم واعتقاداتهم.

[١٢] مناقب الإمام احمد بن حنبل (أبو الفرج محمد بن الجوزي) ص ٥٦٨

الباب الثاني

أدلة المعالجين بالقرآن

أولاً: القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة:٢٧٥)

هذا هو الدليل الوحيد والرئيس في القرآن الكريم للقائلين بلبس الجن للإنسان. وهذه الآية، كما سنرى، ليس فيها ما يدل على ما يذهبون إليه.. والعجيب أيضاً أن هذه الآية لم يستشهد بها ابن تيمية نفسه في هذه المسألة، في حين يستشهد بها المعالجون بالقرآن.

منشأ الخطأ في فهم هذه الآية:

١- عندما قرءوا هذه الآية ووصلوا إلى قوله تعالى: (لا يقومون) تبادر إلى أذهانهم أن القيام معناه: (عدم القدرة على الوقوف)!

٢- (عدم القدرة على الوقوف) لابد له من سبب.. بحثوا عنه في الآية فوجدوا قوله تعالى: (يتخبطه الشيطان)؛ فتبادر إلى أذهانهم المعنى السطحي لكلمة (الخبط) وهو الضرب.

٣- إذن: (عدم القدرة على الوقوف + الخبط من الشيطان) ينتج عنه: الصرع.

٤- ولكن هنا حدث إشكال آخر؛ وهو عدم مشاهدة آكلي الربا صرعى يتخبطون.

٥- الحل الأمثل للخروج من هذا الإشكال القول بأن الصرع ليس في الدنيا وإنما في الآخرة. يقول سيد قطب رحمه الله: {لقد مضت معظم التفاسير على أن المقصود بالقيام في هذه الصورة المفزعة، هو القيام يوم البعث! ولكن، هذه الصورة فيما نرى واقعة بذاتها في حياة البشرية، على هذه الأرض أيضاً}[١٣]

هكذا تساعدنا صياغة المشكلة على هذا النحو أن نراجع الرأي فيها بصرف النظر عما مضت عليه معظم التفاسير، ولنعد إلى فهم الآية من جديد:

[١٣] في ظلال القرآن ٣٢٤/١

العناصر الأساسية في الآية:

١-لا يقومون

٢-يتخبطه الشيطان

٣-المس

أولاً: (لا يقومون):

ذكر ابن منظور في لسان العرب عدة معاني للقيام، بعضها حسي، وأكثرها معنوي. وتختلف المعاني حسب الموضع التي ترد فيه؛ ومن هذه المعاني قوله: {القيام هو المواظبة على الدين والتمسك به، مثل قوله تعالى: "ومن أهل الكتاب أمة قائمة" أي متمسكة بدينها، ثابتة عليه"[١٤]

ثانياً: (يتخبطه):

للخبط معنيان؛ الأول مادي، والثاني معنوي..

---

[١٤] لسان العرب ج٣٧٨٣/٥

فمن الأول: خبطه يخبطه خبطاً، أي ضربه ضرباً شديداً.. ويقال خبط عشواء؛ وهي الناقة التي في بصرها ضعف، فإذا مشت فإنها تخبط.

ومن الثاني: الخبط والتخبط، وهو كل سير على غير هدى وبصيرة، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: {..وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان}[١٥]

ومن هذا الكلام يتضح لنا أن التخبط هو السير على غير هدى وبصيرة، ومنه قوله تعالى: {أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم يمشي سوياً على صراط مستقيم}.

ثالثاً: المس:

هذا هو الركن الثالث في الآية؛ ومن العجيب أن يتحول المعنى من المس إلى الصرع!.. وهذا ما لم تذكره الآية. أما الذي ذكرته فهو

[١٥] السابق ج٢/١٠٩٤

(مس الشيطان) وهو يختلف عن الصرع اختلافاً لا مجال للجمع بينهما بحال من الأحوال.

إن الصرع كما ذكره الأطباء "يحدث نتيجة تدفق شحنات كهربائية زائدة إلى المخ تؤدي إلى التشنج والصرع، ويمكن قياس قوة هذه الشحنات بواسطة جهاز EEG"[١٦]

أما (مس الشيطان)، فلم يأت في القرآن الكريم إلا بمعنى واحد فقط، وهو الوسوسة كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} (الأعراف٢٠١) ".. أي "إن عادة المتقين إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته، تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه، فإذا هم مبصرون السداد"[١٧]

ولكن كما قلنا إن منشأ الخطأ في فهم هذه الآية وقع من الفهم السطحي للألفاظ، والذي مهد الأرضية لهذا الفهم، هم المفهوم القديم الشائع عن الصرع، الذي ترجع أصوله إلى أطباء اليونان أمثال

---

[١٦] د.مازن الهندي: الصرع، مجلة البيان، العدد الثامن،١٩٩٦،ص١٢

[١٧] تفسير النسفي:ج٣/ص٩٢

بقراط الحكيم وجالينوس.. يقول ابن القيم رحمه الله: إن بقراط يـذكر إن للصرع سببين:

الأول: صرع من الأخلاط الرديئة.

الثاني: صرع من الأرواح الخبيثة.. وهذا يسمى "المرض الإلهي"

إلا أن جالينوس وغيره من الأطبـاء لم يرضـوا بالشـق الثـاني مـن تفسير بقراط للصرع؛ "الذي يحدث من الأرواح الخبيثة".. وقـالوا إن تسمية بقراط لهـذا المـرض بـالمرض الإلهـي، لـيس بسـبب كونـه مـن الأرواح الخبيثة، وإنما لكون هذه العلة تحدث في الرأس؛ والـرأس هـو الجزء الإلهي الطاهر الذي هو مسكن الدماغ.

ثم أخذ ابن القيم رحمه الله، ينتصر لرأي بقـراط المؤيـد لاعتقـاده، وراح يسفه رأي جالينيوس وغـيره معتـبراً إيـاه تـأويلاً فاسـداً مـنهم لسفههم وقلة علمهم!.. يقول ابن القيم: "وهذا التأويل نشأ لهـم مـن جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها وتأثيراتها، وجاءت زنادقـة الأطبـاء، فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده".

وهنا، لابد من سؤال عن السبب الذي جعل بقراط يقول بصرع الأرواح الخبيثة أي الشياطين؟

إن السبب الذي حمل بقراط على اعتبار الأرواح الخبيثة سبب بعض أنواع الصرع، لأنه وجد بعض العقاقير التي كان يركبها بنفسه لعلاج الصرع لم تجد نفعاً، لأن بعض حالات الصرع كانت تستعصي على العقار والعلاج. وبالتالي، لم يعرف لها سبب لانعدام الوسائل الطبية الحديثة لتشخيص الأمراض آنذاك، فكان لا بد، عندئذ، أن يرجع الأسباب إلى أشياء ميتافيزيقية يعجز العقل عن إدراك كنهها!

والخلاصة:

يتبين لنا أن معنى (لا يقومون): لا يواظبون على أداء دينهم[١٨].

و(يتخبطه الشيطان): يعني يجعله يسير على غير هدى[١٩].

---

[١٨](لسان العرب٥/٣٧٨٣)
[١٩](لسان العرب٢/١٠٩٤)

و(المس): هو الوسوسة الشديدة، التي تجعل الإنسان يسير على غير هدى[٢٠].

وعلى هذا يكون المعنى: إن آكلي الربا لا يقومون على أوامر دينهم إلا كما يقوم ويواظب عليها الذي "استهوته الشياطين في الأرض حيران". وهل أمثال هؤلاء يستطيعون الثبات على أوامر دينهم.

هذا المعنى يبدو لنا بوضوح عند تدبرنا للآية التي سبقتها والآية التي تليها.. فالآية السابقة تتحدث عن الأجر الكبير والثواب العظيم لمن يواظبون على الإنفاق.. ومن مظاهر هذه المواظبة: الإنفاق في السر والعلن، والإنفاق في الليل والنهار؛ يقول الله عز وجل: {الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار، سراً وعلانية، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (البقرة ٢٧٤).

أما آية الربا؛ فتعرض علينا التخبط في الفعل. والآية التي تليها؛ تعرض علينا التخبط في القول: {ذلك بأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا}.

---

[٢٠](النسفي٢/٩٠)

إذن، هذه الآيات الثلاثة[٢١] متعانقة يأخذ بعضها برقاب بعض في نسق فكري بديع كالتالي:

١- الآية الأولى تتحدث عن عباد الله المواظبين على الإنفاق، والثابتين عليه في كل أحوالهم: في السر والعلانية.. في الليل والنهار.. في الفقر والغنى..

٢- الآية الثانية فيها إشارة إلى أن المواظبة على الإنفاق لا لكثرة الأموال.. فكثرة الأموال لا تجعل الإنسان متصدقاً جواداً، بدليل أن المرابين هم اكثر الناس حباً ونهماً لجمع الأموال وتحصيلها ومع ذلك، هاهم أولاء متحيرون.. متخبطون.. مضطربون.. لا يقر لهم قرار، ولا يهدأ لهم بال..

٣- ثم جاءت الآية الثالثة تعرض علينا التخبط في القول بعدما عرضت علينا الآية التي سبقتها التخبط في الفعل؛ ومن مظاهر تخبطهم في القول قولهم: {إنما البيع مثل الربا}. ويتجلى في ذلك قول

[٢١] الآيات الثلاثة هي ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦

النبي صلى الله عليه وسلم: {لا يستقيم قلب العبد حتى يستقيم لسانه}[٢٢].

وبهذا نكون قد قمنا بتفكيك وكشف دليل القائلين بلبس الجن للإنسان، وأثبتنا أنه لا يصلح دليلاً على ما يذهبون إليه، ومن يستدل به فيكون قد لوى عنق النص ليستقيم لمراده ومذهبه وما هو بمستقيم ! ..

[٢٢] نص الحديث هو: (لا يستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) [المعجم الكبير - الطبراني]

الباب الثالث

ثانياً: الأدلة من السنة المطهرة

١ - قول النبي صلى الله عليه وسلم: **{إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق}.**

من العجيب الاستدلال بهذا الحديث على لبس الجن للإنسان!.. وبهذا، يصبح كل حديث أو قول يرد فيه ذكر الشيطان.. دليلاً يستدلون به في هذا المقام.

إن لهذا الحديث قصة، وردت في الصحيحين، في شأن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عندما زارت النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف في المسجد، فلما رجعت إلى بيتها قام معها النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك ليلاً.. فلما كان ببعض الطريق لقيه رجلان من الأنصار، فتواريا منه؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "على رسلكما؛ إنها صفية " فقالا سبحان الله! فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً أو شراً"[٢٣]

يقول ابن حجر:{**قوله يجري قيل هو على ظاهره، وقيل هو على سبيل الاستعارة، من كثرة إغوائه، وكأنه لا يفارق الدم؛ فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة**}[٢٤]

وعلى هذا يكون معنى الحديث: أن الشيطان يجري في ابن آدم مثلما يجري الدم في جسمه. والدم يتخلل كل جسم الإنسان، ولا يترك جزءاً صغر أم كبر إلا دخل فيه.. وكذلك الشيطان يجري في تفكير الإنسان، وخلجات نفسه، وهواجس عقله، كما يجري الدم في جسمه. وفي هذا المعنى يكون الحديث تشبيه للمبالغة. وهذا المعنى يتضح أكثر في الرواية الأخرى للحديث: {**إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم**)[٢٥]

---

[٢٣]فتح الباري: كتاب الاعتكاف ج/٣٢٦
٢المرجع السابق٤/٣٢٩
٣المرجع السابق٤/٣٢٦
٤لسان العرب٤/٢٢٦٥(٦مجلدات)
[٢٥]السنن الكبرى للبيهقي ج٤/٢٢٣

يقول ابن منظور: **{قوله إن الشيطان يَجْري من ابن آدم مَجْرَى الدم إنما هو مَثَلٌ أَي يتسلط عليه فيوسوس له لا أَنه يدخل في جوفه}**[٢٦]

٢- حديث ابن عباس: **{ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال بلى، قال هذه المرأة السوداء؛ أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إني أصرع وإني أتكشف؛ فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك.. قالت أصبر، ولكني أتكشف، فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها}**[٢٧]

هناك عدة اعتراضات على هذا الحديث:

١- إذا كانت المرأة ملبوسة بالجن، وقراءة القرآن تحرق الجن؛ فلماذا لم يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم، عليها القرآن ليحرقه أو يخرجه، وهو الذي نزل القرآن العظيم على قلبه المطهر؟!

---

[٢٦] لسان العرب لابن منظور مادة شطن ج٢٢٧/١٢

[٢٧] فتح الباري ١١٩/١٠

٢- لا يوجد في الحديث لفظ الشيطان أو الجن ظاهراً أو باطناً، إلا إن هناك رواية أخرى للحديث تقول: (فإن الخبيث يكشفني)[٢٨]؛ والحديث بهذه الزيادة ضعيف، لأن في إسناده "فرقد السبخي" الذي قال عنه الإمام أحمد: إنه يروي المنكرات. وقال عنه البخاري: في حديثه مناكير، وقال عنه النسائي: ليس بثقة[٢٩]

٣- المرأة لم تزد على قولها: {إني أصرع وإني أتكشف} ومر معنا أن أسباب الصرع زيادة شحنات الكهرباء في المخ كما أثبت الأطباء.

كما إننا نجد قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد عن {إن شئت دعوت الله لك، أو تصبري} ومن البديهي أن الإنسان يدعو ربه عز وجل في الأمور التي تكون فوق مقدوره واستطاعته، ولو كانت قراءة القرآن على المصروع هي العلاج لما توانى النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة؛ لأنه كما وصفه الله عز وجل: {حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} .. فكيف بالنبي، مع حرصه ورحمته بالمؤمنين، يترك امرأة نهباً لشيطان يصرعها ويكشفها..

---

[٢٨] مختصر الزوائد ٦٣٣/١

[٢٩] ميزان الاعتدال ٣٤٥/٣، رقم ٦٦٩٩

٤- لو صح زعم المعالجين بالقرآن أنهم يحرقوا الجن والشياطين- في حين تجد بعضهم لا يحسن صلاة ولا قرآناً- لكان هذا طعناً في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ أن هذا الأمر يشي، ضمناً أو صراحة، بأن خير الأنبياء وأكمل البشر، يقف عاجزاً أمام شيطان يهجم على مؤمنة يصرعها ويتلبسها ويكشفها.. وهو الذي سبح الحصى بين يديه، وجرى الماء بين أصبعيه، وبكى الجزع حنيناً عليه. في حين نسمع عن حرق هؤلاء المعالجين لشيطان اسمه جرجس وبطرس.. وينسبون إلى الإمام أحمد أنه أرسل نعليه(!) إلى جارية ملبوسة ليقولوا للشيطان: إن الإمام أحمد يقول لك اخرج وإلا ضربت بهذا النعل.. فما كان من الشيطان إلا أن قال السمع والطاعة؛ لو أمرنا أحمد أن لا نقيم بالعراق ما أقمنا بها!

فيا ليت شعري! لماذا لم يأمرهم الإمام أحمد بالخروج من العراق، وخصوصاً بأنهم يعتدون على المؤمنين ويؤذون المسلمين!..

٣- حديث ابن عباس: {أن امرأة جاءت بابن لها، فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا،

فيفسد علينا.. فمسح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا له فثغ ثغة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى}.

هذا الحديث ضعيف؛ لأن في إسناده "فرقد السبخي" أيضاً، ويبدو أن فرقد هذا كان مولعاً برواية الغرائب والخوارق، وقد تقدم الحكم عليه.

٤- حديث يعلى بن مرة قال: {لقد رأيت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثلاثاً ما رآها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدي: لقد خرجت في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها، فقالت يا رسول الله: هذا الصبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم لا أدري كم مرة! ففغر فاه ونفث فيه ثلاثاً وقال: بسم الله، اخسأ عدو الله!. ولما رجعنا من السفر وجدنا المرأة تنتظرنا ومعها ثلاثة أشياه، وقالت والذي بعثك بالحق، ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة فاحترز منها الغنم}[٣٠]

هذا الحديث ضعيف لوجود عدد من العلل فيه:

[٣٠] أخرجه الحاكم في المستدرك ٦١٨/٢، والبيهقي في الدلائل ٢٠/٢

الأولى: في إسناده الأعمش المدلس، وقد قال فيه ابن المبارك: إنما أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو إسحق. وقال عنه الإمام أحمد في حديثه اضطراب كثير وكان كثير الوهم.

الثانية: في إسناده المنهال بن عمرو. الذي قال عنه يحيى بن سعيد: إنه سيئ المذهب.

الثالثة: الانقطاع بين المنهال بن عمرو، ويعلى بن مرة.[٣١]

٥- حديث خارجة بن الصلت عن عمه أنه {أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم ثم أقبل راجعاً من عنده، فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير.. فهل عندكم شيء تداوونه به؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ؛ فأعطوني مائة شاة، فأتيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال هل قلت غير ذلك؟ قلت لا. قال خذها فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد

[٣١] الضعفاء الكبير ٢٣٦/٤، والميزان ١٩٢/٤، والتهذيب ٢٢٢/٤

أكلت برقية حق. وفي رواية أخرى فرقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام، غدوة وعشية، كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفل}[٣٢]

وجاء في البخاري حديث يشبه هذا الحديث: عن ابن عباس {أن نفراً من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، مروا بماء فيهم لديغ فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً، فانطلق رجل منهم، فقرأ فاتحة الكتاب على شاة فبرأ فجاء بالشاة إلى أصحابه، فكرهوا ذلك، وقالوا أخذت على كتاب الله أجراً، حتى قدموا المدينة فقالوا يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله}[٣٣]

والسؤال البديهي الذي يخطر في بال كل من قرأ الحديثين: أين في هذين الحديثين ما يثبت أن الشيطان يصرع الإنسان؟!

---

[٣٢] سنن أبي داوود، كتاب الطب، باب١٩

[٣٣] فتح الباري ٢٠٩/١٠، وروي قريب منه في الفتح ٥٢٩/٤ وله أيضاً صيغ أخرى توحي بالتناقض، وهذا ما جعل ابن العربي يقول عنه إنه حديث مضطرب انظر فتح الباري٥٣٢/٥

فالحديث الأول يذكر أن الرجل مجنون، والجنون كما هو معروف من الأمراض العقلية التي تصيب أنسجة المخ.

أما الحديث الثاني فيذكر أن الرجل لديغ.. وجاء في البخاري زيادة في الحديث تقول إن أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم؛ فلدغ سيد الحي!.. يقول ابن حجر: "إن الله قد قدر للصحابة في مال هؤلاء القوم نصيباً ولكن القوم منعوهم هذا النصيب، وهذا ما جعل الله يقيض لسيد هذا الحي عقرباً تلدغه حتى يعطوهم الشاة عن يد وهم صاغرون جزاء وفاقاً"[٣٤]

إن هذا الحديث يدل على مشروعية الرقية، وإن المسلم يقرأ على المريض ما اطمأنت إليه نفسه من سور القرآن؛ لأن ذلك يكون أجمع لهمة قلبه وذلك تبركاً بكلام الله عز وجل، ويسأل المولى عز وجل أن يعافيه ببركة هذا الكلام. وهذا يندرج في باب الأدعية التي يدعو بها

[٣٤] فتح الباري ٥٣٥/٤

المسلم ربه عز وجل. أما أن يستدل بهذا الحديث على لبس الجن للإنسان فهذا استدلال فاسد!

الباب الرابع

ثالثاً: الإجماع

يقول ابن تيمية رحمه الله: {وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة، واتفاق سلف الأمة.. وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان، ثابت باتفاق الأئمة من أهل السنة والجماعة، وهو أمر مشهور؛ فإنه يصرع الرجل فيتكلم على لسانه بكلام لا يعرف معناه..}

أقول إن العبارة الأولى من كلام ابن تيمية وهي أن وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة واتفاق سلف الأمة.. أمر لا يختلف فيه مسلمان.. "وإنكارهم يعد تكذيباً لإخبار الله سبحانه بذلك، ومن لم يؤمن بهم يكون غير مؤمن بالقرآن ولا برسالات السماء"[٣٥]

أما الشق الثاني من كلام ابن تيمية الذي يذكر فيه أن دخول الجني في بدن الإنسان ثابت بالقرآن والسنة وإجماع الأمة.. فهذا ما لا نسلم به لعدم وجود ما يثبت ذلك في الكتاب والسنة، كما ناقشنا ذلك فيما مضى، أما الإجماع فهذا ما سنتناوله الآن من خلال تعريف ابن تيمية نفسه للإجماع.

---

[٣٥] الفتاوي: محمود شلتوت ص ٢٣

تعريف ابن تيمية للإجماع:

يقول ابن تيمية رحمه الله: {لا توجد قط مسألة مجمع عليها، إلا وفيها بيان من الرسول، صلى الله عليه وسلم، ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس..}[٣٦]

ويعتبر ابن تيمية الإجماع هو إجماع كل العلماء في عصر- من العصور، ولا يكفي إجماع جمع دون غيرهم، ولا يعتبر ذلك إجماع إلا إذا ثبت أن كل علماء العصر قالوا نفس القول.. يقول رحمه الله:

{وكثير من المسائل يظن بعض الناس أن فيها إجماعاً ولا يكون الأمر كذلك. بل، يكون القول الآخر أرجح في الكتاب والسنة.. أما أقوال بعض الأمة؛ كالفقهاء الأربعة وغيرهم.. فليس حجة لازمة، ولا إجماعاً باتفاق المسلمين. بل ثبت عنهم (أي الفقهاء) أنهم نهوا الناس عن تقليدهم، وأمروا إذا رأوا قولاً في الكتاب والسنة أقوى من قولهم، أن يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويتركوا أقوالهم}[٣٧]

---

[٣٦] مجموع الفتاوي ٢٠٦/١

[٣٧] المرجع السابق ٢٠٦/١

هل قرأ هذا القول الذين يرفعون كلام ابن تيمية في وجه معارضيهم في مسألة اللبس، كأنه تنزيل من التنزيل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يمكن أن يتطرق إليه أدنى ريبة أو شك أو خطأ!

وبعد ذلك يقرر رحمه الله، أن الإجماع لم ينعقد إلا في عهد الصحابة، رضوان الله عليهم، وذلك لصعوبة انعقاده بعدهم؛ فيقول: {لكن المعلوم منه (الإجماع) هو ما كان عليه الصحابة. أما بعد ذلك فتعذر العلم به غالباً.. ولهذا، اختلف أهل العلم فيما ذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة}[٣٨].

وبهذا القول يتفق مع الإمام الشافعي في رسالته حيث يقول: {لست أقول، ولا واحد من أهل العلم: هذا مجمع عليه، إلا لما تلقى عالماً أبداً إلا قاله لك وحكاه عمن قبله: كالظهر أربع ركعات، وكتحريم الخمر، وما أشبه ذلك..}.

[٣٨] بن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل: باب الخلاف في السُنَن المتلقاة بالقبول وفي الإجماع والقياس ج٥/٢٥

ويذكر ابن حزم عبارة الشافعي بألفاظ أخرى وتفصيل أكثر فيقول: {وصفة الإجماع ما تُيقن أنه لا خلاف بين أحد من علماء المسلمين فيه، ونعلم ذلك من حيث علمنا بالأخبار التي لا يتخالج فيها شك، مثل: أن المسلمين خرجوا من الحجاز واليمن، ففتحوا العراق وخراسان ومصر والشام، وأن بني أمية قد ملكوا دهراً طويلاً، ثم ملك بنو العباس، وأنه كان موقعة صفين والحرة وسائرها مما يعلم بيقين وضرورة}.

وبعد.. فهل مسألة لبس الجن ودخوله في بدنه، حسب ما تقدم، تُعتبر مسألة يقينية لا نلقى عالماً أبداً إلا حدثنا بها ونقلها عمن قبله، وأكد عليها كصلاة الظهر أربع ركعات؟.

كلا!.. وما قدمناه من أقوال المفسرين قديماً وحديثاً للآية التي يستدلون بها تكفي لدحض هذا الادعاء، وما سنقدمه الآن من أقوال العلماء في هذه المسألة أيضاً فيه الكفاية والمزيد.

الباب الخامس

رابعاً: أقوال المفسرين

١- تفسير البيضاوي:

يذهب الإمام البيضاوي إلى نسبة الصرع إلى الشيطان نسبة مجازية لا حقيقية.. والنظم القرآني جاء على حسب الاعتقاد السائد لدى الناس، والذي استقر في ضمائرهم منذ الأزل بأن الصرع يكون سببه خبط الشيطان؛ يقول البيضاوي: {..وهذا وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، ومن زعمانهم أيضاَ أن الجني يمس الرجل فيختلط عقله..}[٣٩]

٢- تفسير الفخر الرازي:

ينقل الرازي تفسير الجبائي والقفال لهذه الآية؛ فيقول: {مس الشيطان هي الوسوسة المؤذية كما جاء في شأن أيوب عليه السلام: "أني مسني الشيطان بنصب وعذاب" ونسب المس إلى الشيطان؛ لأن

[٣٩] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٢٦٧/١

من عادة الناس إذا أرادوا تقبيح شيء أن يضيفوه إلى الشيطان، مثل قوله تعالى "طلعها كأنه رؤوس الشياطين"}[٤٠]

٣- تفسير القاضي عبد الجبار:

ينقل الذهبي رحمه الله تفسير القاضي عبد الجبار لقوله تعالى {الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس} يقول القاضي عبد الجبار: مس الشيطان إنما هو بالوسوسة؛ كما قال تعالى في قصة أيوب "أني مسني الشيطان بنصب وعذاب" وكما يقال فيمن يفكر في شيء يغمه: قد مسه التعب. ولو كان الشيطان يقدر على أن يخبط الناس لصرف همته إلى العلماء والزهاد وأهل العقول.. لا إلى من يعتريه الضعف..}[٤١].

٤- تفسير المنار:

يقول الشيخ محمد رشيد رضا بعدما عرض أقوال المفسرين لهذه الآية: {إن الآية على هذا لا تُثبت أن الصرع المعروف يحصل بفعل

---

[٤٠] مفاتيح الغيب ٦٤٨/٣

[٤١] التفسير والمفسرون ٣٧٤/١

الشيطان حقيقة ولا تنفي ذلك. وفي المسألة خلاف بين العلماء.. وقد أنكر المعتزلة وبعض أهل السنة أن يكون للشيطان غير الوسوسة، وقال بعضهم: إن سبب الصرع مس الشيطان، كما هو ظاهر التشبيه، وقد ثبت عند أطباء هذا العصر أن الصرع من الأمراض العصبية التي تعالج كأمثالها بالعقاقير وطرق العلاج الحديثة، ويعالج بعضها بالأوهام}[٤٢].

٥- تفسير ابن عطية:

يقول ابن عطية: {إن المراد بالآية هو تشبيه المرابي في الدنيا بالمتخبط المصروع كما يقال لمن يُصرع بحركات مختلفة قد جن[٤٣].

---

[٤٢] تفسير المنار ٣/٨٠

[٤٣] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) تفسير آية الربا سورة البقرة.

٦- رأي ابن حزم الأندلسي:

يذهب ابن حزم في هذه المسألة إلى الصرع يتسبب من الأخلاط السوداوية في الدماغ وليس من خبط الشيطان، ولكنه يقول إن ما يثير هذه الأخلاط هو الشيطان؛ يقول ابن حزم: {الشيطان الذي يمس الإنسان، الذي يسلط عليه، مساً كما جاء في القرآن الكريم، يثير به من طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ، كما يخبر به كل مصروع بلا خلاف منه؛ فيحدث الله له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده}[٤٤]

٧- رأي محمد الغزالي:

يقول رحمه الله: {إن عدداً كبيراً من النساء وعدداً قليل من الرجال يجيئني بمثل هذه الشكاة، وكنت أبذل شيئاً من الجهد في تثبيت القلق وتسكين الحال وإعادة الاستقرار النفسي- والفكري إلى هذا وذاك. وشعرت بأن الأزمات الروحية، والاضطرابات العصبية من وراء الادعاء بأن الجن احتل هذا الجسد.. وربما استعنت ببعض الرقى

[٤٤] الفصل في الملل والنحل ١٤/٥

والتلاوات والنصائح لجعل أولئك المرضى أحسن حالاً ، وإن تبديد أوهامهم شيء يطول.. ولست أحب أن أفتح أبواب الشعوذة والسحر والدجل باسم أن الشيطان احتل بدن الإنسان، وقد قبضت الشرطة منذ أيام على رجل ظل يهوي على أحد المرض بعصاه حتى أخمد أنفاسه(!) وكان الأحمق يظن أنه يضرب الشيطان ليخرج وكان يقول له: اخرج عدو الله.. وانتهت المأساة بقتل المريض البائس..}[٤٥]

٨- رأي الشيخ الشعراوي:

يفرق الشيخ الشعراوي بين "العلاج بالقرآن" و"العلاج من القرآن" . ويقول إن العلاج من القرآن هو الذي جاء به القرآن الكريم ولا شيء أكثر من ذلك؛ يقول تعالى: "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين" فمثلاً إذا نزلت بالإنسان مصيبة فالشفاء يكون بالنظر إلى توجيهات القرآن الكريم، وما أمرنا به حتى نكون سعداء في هذه الدنيا، وبذلك نعالج أنفسنا ونعالج الفساد المنتشر في واقع المجتمع بتشريعاته الربانية، قال تعالى: "يهدي به الله من اتبع رضوانه

[٤٥] السنة النبيوية بين أهل الفقه والحديث ص ٩١-٩٩

سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم"}[٤٦]

٩- رأي محمد شلتوت:

يقول محمد شلتوت رحمه الله: {إن ظهور الجن بصورتهم الأصلية أو بأي صورة أخرى يتشكلون عليها، ودخولهم في جسمه، والتزوج بهم، وغير ذلك.. هذا كله خارج عن نطاق المصادر الشرعية ذات القطع واليقين.. ومع هذا، فقد تغلب الوهم على الناس، ودرج المشعوذون، في كل العصور، على التلبيس واستغلوا بذلك ضعاف العقول والإيمان وأوقعوا في نفوسهم أن الجن يلبس جسم الإنسان، وأن لهم قدرة على استخراجه من أجسامهم، وأوقعوا في نفوسهم أن لهم القدرة على تسخير الجن في الحب والبغض والطلاق والزواج وجلب الخير ودفع الشر.. وصارت لديهم مهنة منها يتعيشون وللمال يجمعون وبالعقول يعبثون، وقد ساعدهم على ذلك طائفة من المتسمين بالعلم والدين(!) وأيدوهم بحكايات وقصص موضوعة أفسدوا بها

[٤٦] العلاج بالقرآن وأمور أخرى ،ص٣٢

حياة الناس وصرفوهم عن السنن الطبيعية في العلم والعمل، وعن الخير النافع المفيد}[٤٧]

وهكذا نرى من خلال ما تقدم بأن مسألة لبس الجن للإنسان ليس فيها إجماع بين العلماء، ومن يدعي الإجماع يكون قد أخرج بقصد أو بغير قصد هؤلاء العلماء من زمرة العلماء ومنهم: أبو حنيفة، والشافعي، ومالك، والبيضاوي، والرازي، وابن حزم، وابن عطية، والقاضي عبد الجبار، والزمخشري، ورشيد رضا، محمد عبدو، ومحمد شلتوت، ومحمد الغزالي، والشعراوي وغير هؤلاء كثير!.

[٤٧] الفتاوي ص٢٧

المحتويات

الباب الأول ٦

الجذور التاريخية لهذه المشكلة ٧

تحليل رأي شيخ الإسلام ابن تيمية.. ..... ١٠

الباب الثاني ٢٦

أدلة المعالجين بالقرآن ٢٧

القرآن الكريم ٢٧

الباب الثالث..... ٣٦

الأدلة من السنة المطهرة ٣٧

الباب الرابع..... ٤٦

الإجماع..... ٤٧

تعريف ابن تيمية للإجماع..... ٤٨

الباب الخامس..... ٥١

أقوال المفسرين..... ٥٢

١- تفسير البيضاوي..... ٥٢

٢- تفسير الفخر الرازي..... ٥٢

٣- تفسير القاضي عبد الجبار..... ٥٣

٤- تفسير المنار..... ٥٣

٥- تفسير ابن عطية..... ٥٤

٦- رأي ابن حزم الأندلسي..... ٥٤

٧- رأي محمد الغزالي..... ٥٥

٨- رأي الشيخ الشعراوي..... ٥٦

٩- رأي محمد شلتوت..... ٥٦